

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص النبوية

الوحي

عبد الحميد جودة السحار

٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من
علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم
الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

(قرآن كريم)

عاش محمدٌ في بيتِ خديجةَ ؛ كان يُحبُّ زوجته ،
وكانت زوجته تُحبه .

وكان محمدٌ في ذلك الوقت يميلُ إلى التفكير ،
فكان يُطيلُ التأملُ ، وخديجةُ تلاحظُ سُكونه ،
فتتركهُ لأفكاره ، ولا تضايقه بكثرةِ حديثها ، كما
تفعلُ النساءُ مع أزواجهن . كانت خديجةُ عاقلة ،
فكانت تتركُ زوجها إلى ما تميلُ إليه نفسه .

كان محمدٌ يعودُ من الكعبة ، فيفكرُ في أمرها ،
وفي الثلاثمائةِ والستينَ صنما التي بها ، فيعجبُ من
قومه الذين يعبدونَ حجارةً ينحتونها بأيديهم ،

حجارة لا تسمع ولا ترى ، ولا تستجيبُ لدعوة
عِبَادِهَا الَّذِينَ يَدْعُونَهَا .

اهتدى محمدٌ إلى أنَّ هذا الكونَ إلهًا واحدًا هو
الَّذى خلقَ الشمسَ والقمرَ ، والسماءَ والأرضَ ،
والأنهارَ والجبالَ ، والإنسانَ والحيوانَ ؛ وأنَّ هذا
الإلهَ الواحدَ هو الذى يجبُ أن يتوجَّهَ إليه الناسُ فى
دعوتهم ، وهو وحده المستحقُّ للعبادة ؛ لذلك كان
يأخذُ طعامه وشرابه ، ويذهبُ إلى غارٍ جِراءَ ، بعيدا
عن ضَوْضاءِ الناسِ ، يعبدُ اللهَ فى ليله ونهاره ،
وكان يمكثُ فى الغارِ شهرًا من كلِّ سنة .

كان يُحبُّ الخلوةَ ، ففى الخلوة اتَّصالُ الإنسانِ
بالكونِ ، وفيها يفرُّغُ القلبُ من أشغال الدنيا ،
ويصفو الذهنُ وتشرقُ أنوار المعرفة . كان محمد

يَقْضِي الشَّهْرَ فِي عِبَادَةٍ ، يُطْعِمُ مَنْ يَمُرُّ بِهِ مِنْ
الْمَسَاكِينِ ، مِنَ الْكَعْكُ وَالزَّيْتِ الَّذِي يَحْمِلُهُ مَعَهُ .
وَكَانَ إِذَا نَامَ فِي الْغَارِ ، رَأَى فِي نَوْمِهِ رُؤْيً ، فَإِذَا
اسْتَيْقَظَ تَحَقَّقَتْ رُؤَاؤُهُ ، فَقَدْ صَفَا رُوحُهُ ، وَاتَّصَلَ
بِاللَّهِ .

٢

ذَهَبَ مُحَمَّدٌ إِلَى غَارِ حِرَاءَ ، وَهُوَ فِي الْأَرْبَعِينَ مِنْ
عَمْرِهِ ، يَحْمِلُ طَعَامَهُ ، يَصُومُ النَّهَارَ يَتَعَبَّدُ ، وَيَقُومُ
الَّيْلَ يَتَهَجَّدُ . وَغَابَتِ الشَّمْسُ ، وَالتَفَّ مُحَمَّدٌ فِي
عِبَادَتِهِ ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ لِيَنَامَ قَلِيلًا ؛ كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةُ
مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ .

وسمع محمدٌ صوتاً يقولُ له وهو نائم :

- اقرأ .

فيقولُ محمدٌ له :

- ما اقرأ .

فَيُجِسُّ شيئاً يَضُمُّهُ ، حتى يكادُ يَكْتُمُ أنفاسَه . ثم

يترُكه ويقول :

- اقرأ .

فيقولُ محمدٌ : ما اقرأ .

فَيَضُمُّهُ مرَّةً ثانية ، حتى يكادُ يَكْتُمُ أنفاسَه ، ثم

يترُكه ويقول :

- اقرأ .

فيقولُ محمدٌ : ما اقرأ .

فَيَضُمُّهُ مرَّةً ثالثة ، حتى يكادُ يَكْتُمُ أنفاسَه ، ثم

يقول :

- اقرأ .

فيقول محمد :

- ماذا أقرأ ؟

فيقول الملك :

- اقرأ باسم ربك الذي خلق .

خلق الإنسان من علق .

اقرأ وربك الأكرم .

الذي علم بالقلم .

علم الإنسان ما لم يعلم .

واستيقظ محمد من نومه فرعاً ، وخرج من الغار

مهُرُولا ، وإذا به يسمع صوتاً من السماء ، يقول :

- يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل . فرفع

محمد رأسه إلى السماء ينظر ، فإذا جبريل قدماه في

أُفُقِ السَّمَاءِ ، يقول :

— يا محمد ، أنت رسولُ الله ، وأنا جبريل .
فوقف محمدٌ ينظرُ إليه ، فما يتقدَّمُ وما يتأخَّرُ ،
وجعل يصرفُ وجهه في آفاقِ السماء ، فلا ينظر
في ناحية منها إلا رآه .

ظلَّ محمدٌ ثابتاً ، لا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ ، وأرسلت
خديجةٌ تبحثُ عنه ، وهو واقفٌ في مكانه لا يتقدَّمُ
أمامه ، ولا يرجع وراءه .

رجع محمدٌ إلى خديجة ، وهو يضطرب ، فقالت
له :

- يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ
رُسُلِي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ، ورجعوا لي .
فقال لها وهو يرتجف :

- زملوني . زملوني .
فراحت خديجة تُعطيه ، حتى إذا هدا ، قصَّ عليها
ما رأى ، وقال لها :

- لقد خشيتُ على نفسي .
فقال له خديجة في إيمان :

- كلا . أبشر ، فوالله لا يحزبك الله أبدا ، إنك
لتصل الرحم ، وتصدق الحديث .

وجاء جبريل إلى محمد ﷺ ، وأنزل عليه القرآن :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكْبَرُ ،
وَيَا بَنِكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْثِرُ ﴾ .

نام محمد ليسترىح ، وخرجت خديجة إلى ورقة ابن
نوفل ، وكان ابن عمها ، وقصت عليه ما رأى
محمد . كان ورقة قرأ الكتب ، ودرس التوراة
والإنجيل ، فقال :

- والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني
يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر (جبريل)
الذى كان يأتي موسى ، وإنه نبي هذه الأمة ، فقول
له فليثبت .

رَحمت خديجة إلى رسولِ الله ، فأخبرته بقولِ
ورقة . وخرج رسولُ الله يطوفُ بالكعبة ، فلقيه
ورقة وهو يطوف ، فذهب إليه ، وقال له .
- يا بن أخى ، أخبرنى بما رأيتَ وسمعت .
فأخبره رسولُ الله ، فقال له ورقة :
- والذي نفسى بيده ، إنك لنبىُّ هذه الأمة ،
ولقد جاءك الناموسُ الأكبر ، الذى جاء موسى .
ولتكذِّبُ ولتؤذِينِ ولتُخرِجِنِ ولتُقاتِلِنِ ، لكن أنا
أدركتُ ذلك اليوم لأنصُرَنَّ اللهَ نصرًا يعلمه .

أصبح جبريلُ يَجِيءُ إلى محمد ، يوحى إليه أوامرَ
 الله ، فأرادت خديجة أن تثبت من ذلك الذى يراه
 زوجها ، فقالت له :

- أى ابن عم ، أتستطيع أن تحرنى بصاحبك هذا
 الذى يأتيك إذا جاءك ؟
 قال محمد لها :

- نعم .

فجاء جبريلُ عليه السلام ، فقال رسولُ الله ﷺ
 لخديجة :

- يا خديجة ، هذا جبريلُ قد جاءنى .

فَقَالَتْ خَدِيجَةٌ :

- قُمْ يَا بَنَ عَمِّي ؛ فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُسْرَى .

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ فَجَلَسَ عَلَيْهَا وَقَالَتْ خَدِيجَةٌ :

- هَلْ تَرَاهِ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ .

- نَعَمْ .

قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةٌ :

- فَتَحَوَّلْ ، فَاجْلِسْ عَلَى فَخِذِي الْيُمْنَى .

فَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى فَخِذِهَا الْيُمْنَى ، فَقَالَتْ :

- هَلْ تَرَاهِ ؟

قَالَ :

- نَعَمْ .

قَالَتْ :

- فَتَحَوَّلْ فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي .

فتحوّل رسول الله ، فجلس في حجرها ، قالت :

- هل تراه ؟

قال :

- نعم .

فكشفت عن وجهها ورسول الله جالس في

حجرها ، ثم قالت له :

- هل تراه ؟

قال :

- لا .

قالت :

- يا بن عم ، أثبت وأبشر ، والله إنه لملك ، وما

هذا بشيطان .

ذهب محمدٌ إلى غارٍ حراءٍ ، وانتظر أن يرى
جبريل ، ولكن مرّت مدةٌ طويلة ولم يره ، فحزن
حزنا عميقا ، ظنَّ أنَّ الله تاركه ، وفيما هو في
حُزْنِه إذ سَمِعَ صوتا ينادي :

— يا محمد ، إنك رسولُ الله حقًا .

فرفع محمدٌ بصره إلى السماء ، فإذا بالملك الذي
جاءه بحراء ، قاعدٌ على كرسى في السماء ، ففرح
بعودته ، وأخذ جبريلُ يُعلِّمه القرآن ، قال :

﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ
وَمَا قَلَى (أى ما تركك ، وما أَبْغَضَكَ منذ أَحَبَكَ)

وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ
رَبُّكَ فَتَرْضَى ، أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ، وَوَجَدَكَ
ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا
تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
فَحَدِّثْ ﴿١٨﴾